

ذكر الدليل على ذم الذين يدخلون
على الحكام بكلام حسن طيب، ويخرجون
منهم بكلام قبيح خبيث

لَا رَيْبَ أَنْ ابْتِعَادَ الْمَرْءَ عَنِ مَوَاطِنِ الْفِتَنِ مِنْ كَمَالِ الدِّيَانَةِ .
لَكِنَّ أَهْلَ النِّفَاقِ وَالْمُجَامَلَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ أَبْوَابُ إِلَّا الدُّخُولَ فِي
الْفِتَنِ . . . وَهُمْ بِذَلِكَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا وَالْعِيَادُ، بِاللَّهِ .
وَاللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ خُسْرَانِ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِنْ عَمِلُوا بِرَغْمِهِمْ مِنْ أَجْلِ
الدِّينِ وَالذُّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَمُسَاعَدَةِ الْمُسْلِمِينَ .
فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا صَعَبِيَّمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] .
وَهَذَا فِيهِ التَّرْهِيْبُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ ذِي الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي
الْأَمْرَاءَ بِوَجْهِهِ، وَيَخْرُجُ مِنْهُمْ بِوَجْهِهِ آخَرَ .
فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا سَوَاتِينِ :

الأولى: الدُّخُولُ عَلَى الْحُكَّامِ عَلَى وَجْهِهِ يَسْخَطُهُ اللَّهُ وَيَمَقُّتُهُ .
الثَّانِيَةُ: النِّفَاقُ حَيْثُ أَظْهَرُوا مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ أَمَامَ الْحُكَّامِ،
فَلَمَّا غَابُوا عَنْهُمْ أَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ غِشٍّ وَسَبٍّ وَطَعْنٍ وَغِيْبَةٍ
وَحِقْدٍ وَيَبْغِضُ لَهُمْ . . . فَكَأَنَّهُمْ نَادَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، نَحْنُ مُنَافِقُونَ،
نَحْنُ نَأْتِي الْحُكَّامَ بِوَجْهِهِ، وَنَخْرُجُ مِنْهُمْ بِوَجْهِهِ آخَرَ، فَذَمُّوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ

حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ^(١).

وَأَلَيْكَ الدَّلِيلَ:

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ قَوْلِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾

[الأنعام: ١٢٩].

٢ - وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: (قَالَ أَنَسُ بْنُ عُمَرَ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سُلْطَانِنَا، فنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا تَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ؟! قَالَ: كُنَّا نَعُدُّهَا نِفَاقًا)^(٢).

وَبَوَّبَ عَلَيْهِ الإِمَامُ البُخَارِيُّ رَضِيَ اللهُ فِي «صَحِيحِهِ» (ج ١٣، ص ١٧٠): بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ ثَنَاءِ السُّلْطَانِ، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَرَوَاهُ أَبُو الشَّعْثَاءِ بِلَفْظٍ: (دَخَلَ نَفَرٌ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ، فَوَقَعُوا فِي يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَتَنَّاوَلُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللهِ: هَذَا قَوْلُكُمْ لَهُمْ عِنْدِي، أَتَقُولُونَ هَذَا فِي وُجُوهِهِمْ؟ قَالُوا: لَا، بَلْ نَمْدَحُهُمْ، وَنُثْنِي عَلَيْهِمْ)^(٣).

-
- (١) وكذلك هؤلاء لضعفهم في الدين يفتنون بإكرام الحكام لهم، اللهم غفرأ.
وكان السلف يخافون ذلك: عن علي بن عثام قال: قال سفيان الثوري: (أتروني أخاف أن يضربوني إن أتيتهم، ولكنني أخاف أن يكرموني فيفتنوني).
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج ٧ ص ٥١)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، بإسناد حسن. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (ج ٧ ص ٤٠)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، من وجه آخر.
- (٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج ١٣ ص ١٧٠)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. من طريق أبي نعيم حدثنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه به.
- (٣) وهذا الأمر عليه دعاة السياسة من الذين تشبهوا بالشيخ وليسوا منهم فإنهم إذا دخلوا على المسؤولين مدحهم وأثنوا عليهم، وإذا خرجوا من عندهم تناولوهم بالطعن والمكر والسب.
قلت: فإن هذا هو النفاق، والعياذ بالله.

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: هَذَا النِّفَاقُ عِنْدَنَا^(١).

وَفِي لَفْظٍ: (كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ النِّفَاقَ).

قُلْتُ: وَهَذَا فِيهِ التَّرْهِيْبُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ ذِي الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي الْأَمْرَاءَ بِوَجْهِهِ، وَيَخْرُجُ، مِنْهُمْ بِوَجْهِهِ آخَرَ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْخَوَارِجِ الْقَعْدَةِ الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِالشُّيُوخِ وَلَيْسُوا مِنْهُمْ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هُوَلَاءَ بِوَجْهِهِ، وَهُوَلَاءَ بِوَجْهِهِ»^(٢).

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ التَّرْهِيْبُ الشَّدِيدُ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ فِي حَقِّ ذِي الْوَجْهَيْنِ، مِنْهُ الَّذِي يَأْتِي الْأَمْرَاءَ بِوَجْهِهِ يَسْحَطُهُ اللَّهُ وَيَمْقُتُهُ كَ (النِّفَاقِ

(١) حديث صحيح.

أَخْرَجَهُ الْفَرِيَابِيُّ فِي «صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ» (ص ٦٦)، ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت. وابن أبي الدنيا في «الصمت» (ص ٣٧٤)، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى. وأحمد في «المسند» (ج ٢ ص ١٠٥)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص ١٢٦)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، وابن عساكر في «ذم ذي الوجهين واللسانين» (ص ١٥)، ط. دار الفكر، دمشق، من طريق الأعمش عن إبراهيم عن أبي الشعثاء به. قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (ج ١٠ ص ٤٧٤)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. ومسلم في «صحيحه» (ج ٤ ص ١٩٥٨)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى. وأبو نعيم في «صفة النفاق ونعت المنافقين» (ص ١٥٦)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، وابن عساكر في «ذم ذي الوجهين واللسانين» (ص ٣٤)، ط. دار الفكر، بيروت، من طرق عن أبي هريرة به.

وَالْمُدَاهَنَةِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَخْرُجُ مِنْهُمْ بِوَجْهِ آخَرَ أَمَامَ أَشْيَاعِهِ مِنْ غَيْبَةٍ
وَخِيَانَةٍ وَسَبِّ وَطَعْنٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَهُؤُلَاءِ جَمَعُوا سَوَاتِينِ:

الأولى: الدُّخُولُ عَلَى الأَمْرَاءِ عَلَى وَجْهِ يَسْخَطُهُ الشَّرْعُ، وَيَمَقِّتُهُ
العُرْفُ.

الثَّانِيَّةُ: وَالتَّفَاقُ حَيْثُ أَظْهَرُوا مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ أَمَامَ الأَمْرَاءِ،
فَلَمَّا غَابُوا عَنْهُمْ أَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ بَغْضٍ وَغَيْرِهِ، فَكَأَنَّهُمْ نَادَوْا
عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالتَّفَاقِ، وَالعِيَادُ بِاللَّهِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ حَتْ عَلَى مُجَانِبَةِ ذِي الوَجْهَيْنِ، وَتَبْيِينِ شَرِّهِ
لِأَنَّهُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ رحمته الله: (إِنَّمَا كَانَ ذُو الوَجْهَيْنِ شَرَّ النَّاسِ لِأَنَّ حَالَهُ
حَالُ المُنَافِقِ إِذْ هُوَ مُتَمَلِّقٌ بِالبَاطِلِ، وَالكَذِبِ مُدْخِلٌ لِلفَسَادِ بَيْنَ
النَّاسِ)^(١). اهـ.

قُلْتُ: وَالْوَيْلُ لِهَذَا الصَّنْفِ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ القِيَامَةِ
أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي البَاطِلِ)^(٢).

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر (ج ١٠ ص ٤٧٥)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

(٢) أثر صحيح.

أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٢٣٣)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت،
وهناد في «الزهد» (ج ٢ ص ٥٤١)، ط. «دار الخلفاء، الكويت، ط. الثانية. =

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: قَالَ لِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (إِذَا رَأَيْتَ
الْقَارِيَّ يَلُودُ بِالسُّلْطَانِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لِيَصْرٌ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ يَلُودُ بِالْأَغْنِيَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ
مُرَائِي، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ فَيَقَالَ لَكَ: تَرُدُّ مَظْلَمَةً، أَوْ تَدْفَعُ عَن مَظْلُومٍ، فَإِنَّ
ذَلِكَ خُدْعَةُ إِبْلِيسَ اتَّخَذَهَا فُجَارُ الْقُرَاءِ سُلْمًا)^(١).

وَقَالَ سُلَيْمَانُ الْحَوَّاصُ: (لَوْ دَخَلْتُ عَلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ، بَعْنِي
الْوَلَاةَ، لَمْ أَحِبَّ أَنْ أَطَّأ بِسَاطِهِ، كَرَاهِيَةً أَنْ يَلِيْتَهُ قَلْبِي بِوَطْءِ بِسَاطِهِ)^(٢).

فَهَذَا مِثَالٌ يَشْرُحُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ الصَّالِحُونَ مِنْ نِيَّةِ صَالِحَةِ
حَالِ الدُّخُولِ عَلَى الْأَمْرَاءِ.

وَأَمَّا دُخُولُ أَهْلِ التَّخَرُّبِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْأَمْرَاءِ بِنِيَّةٍ فَاسِدَةٍ مِنْ
تَضْدِيْقِهِمْ عَلَى كَذِبِهِمْ أَوْ إِعَانَتِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ أَوْ إِفْتَائِهِمْ بِالْبَاطِلِ أَوْ
عَشِّهِمْ لِيُصِيبُوا مِنْ دِنْيَاهُمْ شَيْئًا.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ تَوْفَلٍ قَالَ: قِيلَ لِعَلْقَمَةَ: لَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ
- يَعْني الْأَمْرَاءَ - فَيَعْرِفُونَ لَكَ شَرْكَكَ وَتَشْفَعُ؟ قَالَ: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يَنْتَقِصُوا مِنِّي أَكْثَرَ مِمَّا أَنْتَقِصُ مِنْهُمْ)^(٣).

= والطبراني في «المعجم الكبير» (ج ٩ ص ١٠٨)، ط. مكتبة ابن تيمية،
القاهرة. بإسناد صحيح.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج ١٦ ص ٤٥٠)، ط. دار السلفية،
الهند، ط. الأولى. والمروزي في «أخبار الشيوخ» (ص ١٢٨)، ط. دار
البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى. وأبو نعيم في «الحلية» (ج ٦
ص ٣٨٧)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت. بإسناد حسن.

(٢) أخرجه المروزي في «أخبار الشيوخ» (ص ١٥٥)، ط. دار البشائر الإسلامية،
بيروت، ط. الأولى. بإسناد حسن.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (ج ٦ ص ٨٨). ط. دار صادر، =

قُلْتُ: وَلَا يَخْتَلِفُ الْعُلَمَاءُ عَلَى ذَمِّ مَنْ دَخَلَ عَلَى السَّلَاطِينِ وَهُوَ
عَاشٍ لَهُمْ، مُزَيَّنٌ لَهُمُ الْبَاطِلَ، مُعَيَّنٌ لِلظَّالِمِ مِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِ، غَيْرُ
نَاصِحٍ لَهُمْ، غَيْرُ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَاهٍ عَنِ مُنْكَرٍ.

وَكَذَلِكَ تَنْبِيهِ لِلدَّاخِلِ عَلَى وُجُوبِ الْاِخْتِيَاظِ لِدِينِهِ وَلِنَفْسِهِ، فَيُعَالِجُ
نَيْتَهُ، وَيَنْظُرُ فِي الصَّالِحِ: أَدْخُولُهُ أَمْ بَعْدُهُ إِذْ الْفِتْنَةُ مِنْهُ قَرِيبَةٌ^(١).

قُلْتُ: وَمَا ضَلَّ قَوْمٌ إِلَّا أَوْتُوا الْجَبَدَلَ وَالْبَاطِلَ وَالْحِصَامَ، نَعُودُ
بِاللَّهِ مِنَ الْخُذْلَانِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَى الْعِلْمِ، وَلَيْسَ
الْعِلْمُ صُورًا لِالْفَاطِظِ إِنَّمَا الْمَقْصُودُ فَهَمُّ الْمُرَادِ مِنْهُ، وَذَلِكَ يُورِثُ
الْحَشْيَةَ، وَالْحَوْفَ، وَيَرَى الْمِنَّةَ لِلْمُنْعَمِ بِالْعِلْمِ، وَقُوَّةَ الْحُجَّةِ عَلَى
الْمُتَعَلِّمِ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ سَبِيلِ رُعَاعٍ يَتَسَمَّوْنَ بِالْعُلَمَاءِ، لَا يَنْهَاهُمْ مَا
يَحْمِلُونَ، وَيَعْلَمُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ، وَيَتَكَبَّرُونَ عَلَى النَّاسِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ،
عَلَبَتْهُمْ طِبَاعُهُمْ وَمَا رَاضَتْهُمْ عُلُومُهُمْ الَّتِي يَذْرُسُونَ)^(٢). اهـ.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (لَا تَكُنْ ذَا وَجْهَيْنِ،
وَذَا لِسَاتَيْنِ، تُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّكَ تَحُبُّ اللَّهَ وَيَحْمِدُونَكَ، وَقَلْبُكَ فَاجِرٌ)^(٣).

= بيروت. والمرودي في «أخبار الشيوخ» (ص ٤٧)، ط. دار البشائر الإسلامية،
بيروت، ط. الأولى. بإسناد صحيح.

وذكره الذهبي في «السير» (ج ٤ ص ٥٨)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.
الثامنة.

(١) وانظر: «الآداب الشرعية» (ج ٣ ص ٤٥٨ و ٤٥٩)، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٢) «صيد الخاطر» (ص ٥١٤)، ط. دار الفكر، دمشق.

(٣) أثر صحيح.

وَقَالَ السَّرِيُّ بْنُ مَعْلَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَخَذَ أَنْ لَا يَكُونَ لَكَ ثَنَاءٌ مَنُشُورٌ، وَعَيْبٌ مَسْتُورٌ)^(١). قُلْتُ: فَلَا تَكُنْ لِلْحَاكِمِ وَلِيًّا فِي الظَّاهِرِ، وَعَدُوًّا فِي البَاطِنِ، لِأَنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ ذَلِكَ وَلَا يُدُّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وَهَؤُلَاءِ لَا يُبَالِي اللَّهُ بِهِمْ لِمَا يَحْمِلُونَ مِنْ بَاطِلٍ. عَنْ مِرْدَاسِ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ - بَعْنِي حُفَالَةٌ - كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوْ التَّمْرِ لَا يَبَالِيهِمُ اللَّهُ بِأَلَّهُ»^(٢).

فَهَذَا الْحَدِيثُ بَيْنَ ذَهَابِ الصَّالِحِينَ وَالْأَخْيَارِ مِنْهُمْ أَوَّلًا فَأَوَّلَ،

= أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» (ج ١٢ ص ٢٧٥)، ط. الدار السلفية، الهند، ط. الأولى من طريق هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر حدثني محمد بن أبي عائشة به.

(١) أثر صحيح.

أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» (ج ١٢ ص ٢٧٥)، ط. الدار السلفية، الهند، ط. الأولى وأبو نعيم في «الحلية» (ج ١٠ ص ١١٩)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الرابعة من طريق جعفر بن محمد حدثني الجنيد بن محمد قال: سمعت السري بن معلس به. قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» (ج ١١ ص ٥١)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض. وابن حبان في «صحيحه» (ج ٨ ص ٣٠١)، وأحمد في «المسند» (ج ٤ ص ١٩٣)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت من طريقين عن قيس بن أبي حازم عن مرداس به.

حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا الْأَرَاذِلُ - كَالْحَزْبِيِّينَ) - وَيَقِلُّ الْعِلْمُ - كَمَا فِي هَذَا
الزَّمَانِ - وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ، وَهَذِهِ أَعْظَمُ نَكْبَةٍ يُصَابُ بِهَا النَّاسُ، أَلَا
وَهِيَ انْقِرَاضُ الْعُلَمَاءِ أَوْ قَلَّتْهُمْ، وَقَبْضُ الْعِلْمِ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ - عَلَى
أَنَّهُ عِلْمٌ - فِي النَّاسِ، وَيَصِلُ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى حَدٍّ أَنَّهُ يَتَّخِذُونَ
الْجُهْلَ^(١) فِي الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ رُؤْسَاءَ لَهُمْ يُفْسِدُونَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ
بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَوْلُهُ: (لَا يَبَالِيهِمُ اللَّهُ بِالْهَلَاةِ): أَي لَا يَرْفَعُ لَهُمْ
قَدْرًا، وَلَا يُقِيمُ لَهُمْ وَزْنَاً)^(٢). اهـ.

قُلْتُ: وَهَؤُلَاءِ قُرَاءٌ لَيْسَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ يُمَيِّزُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ.

وَالْبِكَ الدَّلِيلُ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَاؤُهَا»^(٣).

(١) كَالْقِصَاصِينَ وَالمُتَعَالِمِينَ وَالحَزْبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ.

(٢) «شرح السنة» (ج ١٤ ص ٣٩٣)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى.

(٣) حديث صحيح.

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ «فِي خَلْقِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ» (ص ١٩٤)، ط. الدار السلفية،
الكويت، ط. الأولى، وَالفَرِيَابِيُّ فِي «صِفَةِ النِّفَاقِ» (ص ٥٦)، ط. دار
الْخَلْفَاءِ لِلْكِتَابِ الْإِسْلَامِيِّ، الْكُوَيْتِ، ط. الأولى. وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «صِفَةِ
النِّفَاقِ»، وَنَعَتِ الْمُنَافِقِينَ» (ص ١٦٧)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت،
ط. الأولى مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شُرَيْحِ الْمُعَافِرِيِّ حَدَّثَنَا شُرَايِبُ عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ هُدَيْيَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِهِ.
قلت: وَهَذَا سَنَدُهُ صَحِيحٌ.

فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ أَنْاسًا مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ أَهْلِ
النَّفَاقِ الْعَمَلِيِّ، يُنَافِقُونَ مِنْ أَجْلِ مَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ بِاسْمِ الدِّينِ وَبِاسْمِ
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ.

قَالَ الْمُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يَشْرَحُ الْحَدِيثَ: (أَيُّ الَّذِينَ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى
غَيْرِ وَجْهِهِ، وَيَضَعُونَهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ، أَوْ يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ تَقِيَّةً لِلتَّهْمَةِ
عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ مُعْتَقِدُونَ خِلَافَهُ) (١). اهـ.

وَقَدْ قَسَمَ عُلَمَاءُ السَّلَفِ النَّفَاقَ إِلَى قِسْمَيْنِ:

١ - نِفَاقُ قَلْبٍ.

٢ - نِفَاقُ عَمَلٍ.

فَنِفَاقُ الْقَلْبِ هُوَ نِفَاقُ التَّكْذِيبِ الَّذِي يَتَّصِلُ بِالْمُعْتَقِدِ. وَأَمَّا نِفَاقُ
الْعَمَلِ فَهُوَ مَعْصِيَةٌ كَسَائِرِ الْمَعَاصِي، وَخُلِقَ مُشِينٌ يَتَّصِفُ بِهِ الْمُنَافِقُونَ.
وَهَذَا هُوَ النَّفَاقُ الَّذِي كَانَ يَخَافُهُ السَّلَفُ عَلَى نَفْسِهِمْ، فَإِنَّ
صَاحِبَهُ قَدْ يَكُونُ فِيهِ شُعْبَةٌ نِفَاقٍ (٢).

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (النَّفَاقُ نِفَاقَانِ: نِفَاقٌ بِالتَّكْذِيبِ، وَنِفَاقٌ
بِالْعَمَلِ) (٣).

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (ج ٢ ص ٨٠)، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٢) انظر: «الإيمان» لابن تيمية (ص ٤٠٩)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثالثة.

(٣) أثر صحيح.

أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (ج ١ ص ٦٩٩)، ط. دار الراجعية،
الرياض، ط. الأولى، من طريق أحمد بن أبي سريج قال: أنا يزيد بن
هارون قال: أنا أبو الأشهب عن الحسن به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَالنَّفَاقُ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُظْهَرَ صَاحِبُهُ
 الْإِيمَانَ، وَهُوَ مُسِيرٌ لِلْكَفْرِ كَالْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالثَّانِي:
 تَرْكُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِ الدِّينِ سِرًّا، وَمُرَاعَاتِهَا عَلَنًا فَهَذَا يُسَمَّى
 مُنَافِقًا، وَلَكِنَّهُ نِفَاقٌ دُونَ نِفَاقٍ^(١)). اهـ^(٢).

وَقَالَ الْكَلَّابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هَذَا نِفَاقُ الْعَمَلِ^(٣) لَا نِفَاقُ الْإِعْتِقَادِ^(٤))،
 وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقَ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ شَيْئًا وَأَضْمَرَ خِلَافَهُ... وَالْقَارِيُّ أَظْهَرَ
 أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ بِعَمَلِهِ وَوَجْهِهِ لَا غَيْرَ، وَأَضْمَرَ حَظَّ نَفْسِهِ وَهُوَ الثَّوَابُ،
 وَيَرَى نَفْسَهُ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَيَنْظُرُ بِعَمَلِهِ بِعَيْنِ الْإِجْلَالِ، فَلَا أَنْ كَانَ بَاطِنُهُ
 خِلَافَ ظَاهِرِهِ صَارَ مُنَافِقًا، إِذِ الْمُنَافِقُ بِإِيمَانِهِ قَصَدَ حَظَّ نَفْسِهِ، وَالْقَارِيُّ

(١) قوله: «نفاق دون نفاق»، فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان لكن
 إذا استحكم وكمل، فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية، وإن صلى وصام
 وزعم أنه مسلم، اللهم غفرًا.

لأن منهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحسن بها إلا إذا أخلص
 في الدين، فلما أن يصير مؤمنًا، وإما أن يصير منافقًا، والله المستعان.
 والمراد بإطلاق النفاق: الإنذار، والتخويف عن ارتكاب هذه الخصال
 الخبيثة.

(٢) «شرح السنة» (ج ١ ص ٦)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى.
 (٣) والنفاق العملي: هو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في
 القلب، وهذا لا يخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه
 إيمان ونفاق، وإذا كثر صار بسببه منافقًا خالصًا، كما جاء في الحديث
 السابق.

(٤) والنفاق الاعتقادي: هو النفاق الأكبر الذي يظهر صاحبه الإسلام، ويبطن
 الكفر، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من
 النار، والعياذ بالله.

انظر: «عقيدة التوحيد» للشيخ صالح الفوزان (ص ١٠٦)، ط. دار العاصمة،
 الرياض، ط. الأولى.

بَعْمَلِهِ قَصْدَ حَظِّ نَفْسِهِ فَاسْتَوَىٰ فِي الْقَصْدِ، وَمُخَالَفَةَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ
فَاسْتَوَىٰ فِي الْإِثْمِ لَاسْتَوَيْتَهُمَا فِي الْقَصْدِ وَالصَّفَةِ^(١). اهـ.

وَقَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ فُوزَانَ الْفُوزَانِي حَفِظَهُ اللَّهُ: (إِنَّ وَجُودَ
الْمُتَّفِقِينَ وَالْخُطَبَاءِ الْمُتَحَمِّسِينَ لَا يُعَوِّضُ الْأُمَّةَ عَنْ عُلَمَائِهَا... وَهَؤُلَاءِ
قُرَاءٌ وَلَيْسُوا فُقَهَاءَ، فَيُضَلُّونَ لَفِظِ الْعُلَمَاءِ عَلَى هَؤُلَاءِ إِطْلَاقًا فِي غَيْرِ
مَحَلِّهِ، وَالْعِبْرَةُ بِالْحَقَائِقِ لَا بِالْأَلْقَابِ، فَكَثِيرٌ مَنْ يُجِيدُ الْكَلَامَ وَيَسْتَمِيلُ
الْعَوَامَّ وَهُوَ غَيْرُ فَيِّهِ)^(٢). اهـ.

وَقَالَ السَّرِيُّ بْنُ الْمُغَلِّسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّمَا أَذْهَبَ أَكْثَرَ أَعْمَالِ الْقُرَاءِ
الْعُجْبُ، وَخَفِيُّ الرِّيَاءِ)^(٣).

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنَّ أَقْبَحَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا أَنْ تُطْلَبَ
بِعَمَلِ الْآخِرَةِ)^(٤).

-
- (١) «معاني الأخبار» (ص ٥٥)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.
(٢) «وجوب الثبوت في الأخبار واحترام العلماء» (ص ٥٠)، ط. دار إمام الدعوة،
الرياض، ط. الأولى.
(٣) أثر صحيح.
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج ١٢ ص ٢٦٣)، ط. الدار السلفية،
الهند، ط. الأولى من طريق جعفر بن محمد حدثني الجنيد بن محمد قال:
سمعت السري بن المغلس به.
قلت: وهذا سنده صحيح.
(٤) أثر صحيح.
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (ج ١٢ ص ٢٦٨)، ط. الدار السلفية،
الهند، ط. الأولى وأبو نعيم في «الحلية» (ج ٧ ص ٥٤)، ط. دار الكتاب
العربي، بيروت، ط. الرابعة. من طريقين عن سفيان به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

أَيُّ الَّذِي يَطْلُبُ الدُّنْيَا يَعْمَلِ الآخِرَةَ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ السَّرِيَّ بْنَ الْمُغَلِّسِ يَذُمُّ مَنْ يَأْكُلُ
بِدِينِهِ وَيَقُولُ: (مَنْ التَّدَالَةَ أَنْ يَأْكُلَ الْعَبْدُ بِدِينِهِ)^(١).

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ لَآءٍ: (... وَمِنْ أَعْظَمِ مَا حَرَّكَهُ عَلَيْهِ
طَلَبُ غَرَضِهِ، إِمَّا وِلَايَةً، وَإِمَّا مَالًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا
رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾، وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ... وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، إِنْ أُعْطَاهُ
مِنْهَا رِضِي، وَإِنْ مَنَعَهُ سَخِطَ»^(٢). اهـ.

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَعَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِكُلِّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَنَقَرَّ بِالْحَقِّ كُلَّهُ، وَلَا يَكُونُ لَنَا هَوَى، وَلَا نَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، بَلْ نَسْأَلُكَ
سُبُلَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ، وَذَلِكَ هُوَ اتِّبَاعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَأَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ
بِبَعْضِ الْحَقِّ دُونَ بَعْضٍ فَهَذَا مَنَشَأُ الْفُرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ)^(٣). اهـ.

وَهُوَ لَآءٍ أَظْهَرُوا النُّفَاقَ أَمَامَ النَّاسِ، وَأَسْرَوْهُ أَمَامَ الْحُكَّامِ فَهُمْ شَرٌّ
مِمَّنْ قَبْلَهُمْ.

(١) أثر صحيح.

أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (ج ١٢ ص ٢٦٦)، ط. الدار السلفية،
الهند، ط. الأولى، من طريق جعفر بن محمد حدثني الجنيد بن محمد قال:
سمعت السري بن المغلس به.
قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (ج ٤ ص ٥٢٧)، ط. مؤسسة قرطبة، ط. الأولى.

(٣) «مجموع الفتاوى» (ج ٤ ص ٤٥٠)، ط. مكتبة ابن تيمية، مصر.

وَإِلَيْكَ الدَّلِيلُ :

١ - عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: (الْمُنَافِقُونَ الْيَوْمَ أَشْرُّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، كَانُوا إِذْ ذَاكَ يَكْتُمُونَ، وَهُمْ الْيَوْمَ لَا يَكْتُمُونَهُ) ^(١).
وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: (وَهُمُ الْيَوْمَ يُظْهِرُونَهُ).

٢ - وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: (الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِيكُمْ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: قُلْنَا: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ أَوْلِيكَ أَسْرُوهُ، وَهَؤُلَاءِ أَعْلَنُوهُ) ^(٢).

٣ - وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه: وَقِيلَ لَهُ: (الْمُنَافِقُونَ الْيَوْمَ أَكْثَرُ أَمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: بَلْ هُمْ الْيَوْمَ أَكْثَرُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ يُسْتَسَرُّ بِهِ، وَالْيَوْمَ يُسْتَعْلَنُ بِهِ) ^(٣).

(١) أثر صحيح.

أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (ج ١٥ ص ١٠٩)، ط. إدارة القرآن، باكستان، والفريابي في «صفة النفاق» (ص ٥٦)، ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط. الأولى وأبو نعيم في «صفة النفاق وعت المنافقين» (ص ١٣٦)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى من طريق شعبة عن سليمان الأعمش قال: سمعت أبا وائل يحدث عن حذيفة به. قلت: وهذا سنده صحيح.

(٢) أثر صحيح.

أخرجه أبو نعيم في «صفة النفاق وعت المنافقين» (ص ١٣٦)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، والخطيب في «الموضح» (ج ٢ ص ٥٠٤)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (ج ٢ ص ٦٩١)، ط. دار الراية، الرياض، ط. الأولى. من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال: قال حذيفة به. قلت: وهذا سنده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج ١٣ ص ٦٩)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، =

وَهَؤُلَاءِ حَاوَلُوا أَنْ يُبْرِرُوا مَوَاقِفَهُمْ هَذِهِ بِأَقْنَعَةٍ مَأْكِرَةٍ وَالْغَيْرَةَ عَلَى
الدِّينِ، وَالْحِرْصَ عَلَى الْعَايَةِ الْإِضْلَاحِيَّةِ وَدَعَاوَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَقَوْلُهُ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرُّ مِنْهُمْ عَلَى
عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسْرُونَ قَوْلَهُمْ فَلَا يَتَعَدَى شَرُّهُمْ إِلَى
غَيْرِهِمْ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّهُمْ يَجْهَرُونَ بِالنِّفَاقِ وَيُغْلِنُونَ بِالْخُرُوجِ عَلَى
الْجَمَاعَةِ، وَيُورَثُونَ بَيْنَهُمْ، وَيُحْزَبُونَ أَحْزَابًا، فَهَمُ الْيَوْمَ شَرُّ مِنْهُمْ حِينَ
لَا يَضْرُونَ بِمَا يَسْرُونَهُ) (١). اهـ.

وَلَقَدْ ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ مُنْذُ بَكُورَةِ الدَّعْوَةِ بِهِؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ حَتَّى
كَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَفَضَحَ
مَوَاقِفَهُمْ، وَتَبَّ عَلَى خَطَرِهِمْ، وَهَتَكَ سِتْرَهُمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ
كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَوَصَفَهُمْ بِحَسَنِ الْأَجْسَامِ وَتَمَامِهَا، وَحُسْنِ
الْمَقَامِ وَالْفَصَاحَةِ حَتَّى وَإِعْجَابٍ بِهِ، وَمَعَ هَذَا فَبَوَّاطِنُهُمْ خَرَابٌ وَمَعَانِيُهُمْ
فَارِغَةٌ).

= الرياض. وأبو نعيم في «صفة النفاق» (ص ١٣٧)، ط. دار
البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، والنسائي في «السنن الكبرى» (ج ٦
ص ٤٩١)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى من طريق مالك بن
مغول عن واصل الأحدب عن أبي وائل عن حذيفة به.

(١) «شرح صحيح البخاري» (ج ١٠ ص ٥٧)، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ط.
الأولى.

فَلِهَذَا مَثَلُهُمْ بِالْخُشْبِ الْمُسْتَدَّةِ الَّتِي لَا رُوحَ لَهَا، وَلَا إِحْسَاسَ،
وَقُلُوبُهُمْ مَعَ هَذَا ضَعِيفَةٌ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ^(١) . اهـ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْمُدُودُ فَأَخَذَرَهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].
قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَهَكَذَا كُلُّ مُرِيبٍ يُظْهِرُ خِلَافَ مَا يُضْمِرُ
يَخَافُ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ، وَيَتَحَسَّرُ عَلَيْهِ)^(٢) . اهـ .

فَالْمُنَافِقُ قَلْبُهُ ضَعِيفٌ تَتَلَاعَبُ بِهِ الْأَهْوَاءُ الْمُضِلَّةُ فَتَقْلِبُهُ يَمَنَةً وَسِرَةً.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بِعُضُرٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْسِفُونَ آيَاتِهِمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنِ
الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ
رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ
عَنَّهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَخْلُوفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (ج ٢ ص ٤٧٣)، ط. دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى.

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (ج ٢ ص ٤٧٣)، ط. دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى.

غَيْرِ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
 كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ [النساء: ٨١، ٨٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَنَفِّينَ يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
 الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
 عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة: ٧٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ
 ﴿٨٣﴾ يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٨٤﴾ فِي قُلُوبِهِمْ
 نَرَمٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨ - ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ
 ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا
 ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴿١٤﴾
 اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ
 بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَت بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٣ - ١٦].

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ هَتَكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَسْتَارَ الْمُتَنَافِقِينَ،
 وَكَشَفَ أَسْرَارَهُمْ فِي الْقُرْآنِ، وَجَلَّى لِعِبَادِهِ أُمُورَهُمْ لِيَكُونُوا مِنْهَا وَمِنْ
 أَهْلِهَا عَلَى حَذَرٍ... لِكَثْرَتِهِمْ وَعُمُومِ الْإِبْتِلَاءِ بِهِمْ، وَشِدَّةِ فِتْنَتِهِمْ عَلَى
 الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

فَإِنَّ بَلِيَّةَ الْإِسْلَامِ بِهِمْ شَدِيدَةٌ جِدًّا، لِأَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ إِلَيْهِ، وَإِلَى
نُضْرَتِهِ وَمُؤَالَاتِهِ، وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ فِي الْحَقِيقَةِ يُخْرِجُونَ عَدَاوَتَهُ فِي كُلِّ قَالِبٍ
يَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّهُ عِلْمٌ وَإِضْلَاحٌ وَهُوَ غَايَةُ الْجَهْلِ وَالْإِفْسَادِ...

فَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي مِخْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَلَا يَزَالُ يَظْرُقُهُ مِنْ
شُبُهِهِمْ سَرِيَّةً بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ مُضْلِحُونَ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]...

لَبَسُوا ثِيَابَ أَهْلِ الْإِيمَانِ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْخُسْرَانِ...
فَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْمَسَالِمِينَ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْمُحَارِبِينَ... رَأْسُ مَالِهِمْ
الْحَدِيثَةُ وَالْمَكْرُ، وَبِضَاعَتُهُمُ الْكَذِبُ وَالْحَتْرُ^(١)...

قَدْ نَهَكَتْ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ قُلُوبَهُمْ فَأَهْلَكَتْهَا، وَعَلَبَتِ
الْقُصُودُ السَّيِّئَةَ عَلَى إِرَادَتِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ فَأَفْسَدَتْهَا...

الْمُتَمَسِّكُ عِنْدَهُمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ صَاحِبُ ظَوَاهِرٍ، مَبْخُوسٌ حَظُّهُ
مِنَ الْمَعْقُولِ... وَأَهْلُ الْاِتِّبَاعِ عِنْدَهُمْ سَفَهَاءٌ...

قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ اسْتِهْزَاءً بِأَهْلِهِمَا وَاسْتِخْقَارًا، وَأَبُوا
أَنْ يَنْقَادُوا لِحُكْمِ الْوَحْيِيِّينَ فَرَحًا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ
الْاِسْتِكْبَارُ مِنْهُ إِلَّا أَثْرًا وَاسْتِكْبَارًا...

أَسْمَاعُ قُلُوبِهِمْ قَدْ أَنْقَلَهَا الْوَقْرُ، فَهِيَ لَا تَسْمَعُ مُنَادِيَ الْإِيمَانِ،
وَعُيُونُ بَصَائِرِهِمْ عَلَيْهَا عَشَاوَةٌ الْعَمَى، فَهِيَ لَا تُبْصِرُ حَقَائِقَ الْقُرْآنِ،

(١) الحَتْرُ: هو العَدْرُ والحَدِيثَةُ.

انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص ٤٨٩)، ط. مؤسسة الرسالة،
بيروت، ط. الثانية.

وَأَلْسِنَتُهُمْ بِهَا حَرَسَ عَنِ الْحَقِّ، فَهُمْ بِهِ لَا يَنْطِقُونَ ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨].

يُعْجِبُ السَّامِعَ قَوْلَ أَحَدِهِمْ لِحَلَاوَتِهِ وَلِينِهِ، وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ كَذِبِهِ وَمَيْنِهِ فَتَرَاهُ عِنْدَ الْحَقِّ نَائِمًا، وَفِي الْبَاطِلِ عَلَى الْأَقْدَامِ...
أَوَامِرُهُمُ الَّتِي يَأْمُرُونَ بِهَا أَتْبَاعَهُمْ مُتَّصِمَةً لِفَسَادِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَنَوَاهِيهِمْ عَمَّا فِيهِ صَلَاحُهُمْ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ... وَأَحَدُهُمْ تَلْقَاهُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالرَّهْبِ وَالْاجْتِهَادِ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَكَتَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فَهُمْ جِنْسٌ بَعْضُهُ يُشْبِهُ بَعْضًا، يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ بَعْدَ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ بَعْدَ أَنْ يَتْرُكُوهُ...

إِنْ حَاكَمْتَهُمْ إِلَى صَرِيحِ الْوَحْيِ وَجَدْتَهُمْ عَنْهُ نَافِرِينَ، وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَأَيْتَهُمْ عَنْهُ مُغْرَضِينَ... تَبَّ لَهُمْ مَا أَبْعَدَهُمْ عَنِ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ! وَمَا أَكْذَبَ دَعْوَاهُمْ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ! فَالْقَوْمُ فِي شَأْنٍ وَأَتْبَاعُ الرَّسُولِ فِي شَأْنٍ... يَخْلِفُونَ لِيَحْسِبَ السَّامِعُ أَنَّهُمْ صَادِقُونَ قَدْ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

فَمَا أَكْثَرَهُمْ وَهُمْ الْأَقْلُونَ، وَمَا أَجْبَرَهُمْ وَهُمْ الْأَذْلُونَ، وَمَا أَجْهَلَهُمْ وَهُمْ الْمُتَعَالِمُونَ...

فَهَذِهِ - وَاللَّهِ - أَمَارَاتُ النِّفَاقِ، فَاحْذَرَهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِكَ الْقَاضِيَةُ.

إِذَا عَاهَدُوا لَمْ يَفُوا، وَإِنْ وَعَدُوا أَخْلَفُوا، وَإِنْ قَالُوا لَمْ يُنصِفُوا،

وَأَنَّ دُعَاؤَ إِلَى الطَّاعَةِ وَقَفُّوا، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ صَدَقُوا، وَإِذَا دَعَتْهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ إِلَى آغْرَاضِهِمْ أَسْرَعُوا إِلَيْهَا وَأَنْصَرَفُوا، فَذَرَهُمْ وَمَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَوَانِ وَالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ فَلَا تَتَّقِ بِعُهُودِهِمْ، وَلَا تَظْمَنَنَّ إِلَى وَعُودِهِمْ، فَإِنَّهُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ... (١) . اهـ.

قُلْتُ: وَإِلَى جَانِبِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ نَجِدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَرَ مِنَ النِّفَاقِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، وَبَيَّنَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَهَمَّ صِفَاتِهِمْ لِيَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْهُمْ، وَلِتَكُونَ لَدَيْهِمْ عَلَامَاتُ الْمُنَافِقِينَ وَاضِحَةً وَأَهْمَهَا: الْكَذِبُ فِي الْحَدِيثِ، وَالْعَدْرُ حِينَ الْعَهْدِ، وَالْإِخْلَافُ بِالْوَعْدِ، وَالْفُجُورُ فِي الْخُصُومَةِ، وَالْخِيَانَةُ لِلْأَمَانَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَالْبَيْتُ الدَّلِيلُ:

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتَّيَمَنَ خَانَ» (٢).

وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ فِيهِ شَدِيدُ الشُّبُهَةِ بِالْمُنَافِقِينَ - وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ - بِسَبَبِ هَذِهِ الْخِصَالِ النِّفَاقِيَّةِ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ.

٢ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ

(١) «صفات المنافقين» (ص ٤ و ٣١)، ط. دار القاسم، الرياض، ط. الأولى.
 (٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج ٥ ص ٢٨٩)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ومسلم في «صحيحه» (ج ١ ص ٧٨)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى، والفريابي في «صفة النفاق» (ص ٥٦)، ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، وأبو نعيم في «صفة النفاق و نعت المنافقين» (ص ٦٩)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، من عدة طرق عن أبي هريرة به.

خِلَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»^(١).

قَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَوْلُهُ: «كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا»، مَعْنَاهُ: شَدِيدَ الشُّبُهَةِ بِالْمُنَافِقِينَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْخِصَالِ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَهَذَا فِيمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِيهِ غَالِيَةً، فَأَمَّا مَنْ يَنْدُرُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَيْسَ دَاجِلًا فِيهِ، فَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ)^(٢). اهـ.

وَهَذَا فِيهِ التَّرْهِيْبُ الشَّدِيدُ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ - وَإِنْ كَانُوا مِنْ الْمُسْلِمِينَ - الَّذِينَ يَأْتُونَ الْأَمْرَاءَ بِوَجْهِهِ، وَيَخْرُجُونَ مِنْهُمْ بِوَجْهِهِ آخَرَ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

فَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ اسْتَحَقُّوا بِالِاخْتِرَازِ مِنَ النِّفَاقِ، وَاسْتَهَانُوا بِأَنْ عُرِفُوا بِأَخْلَاقِ الْمُنَافِقِينَ، وَاسْتَحْسَنُواهَا، وَاسْتَجَازُوا الْمُدَاهَنَةَ وَتَأَلَّفُوهَا، وَالْمُرَاوَعَةَ وَالْمُخَادَعَةَ وَاعْتَمَدُواهَا، اللَّهُمَّ عَفِّرْهَا^(٣).

وَلِذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَقَدْ خَاصَمُوا الْحُكَّامَ أَوْ غَيْرَهُمْ فَجَرُوا وَأَعْلَنُوا الْحَرْبَ عَلَيْهِمْ وَحَرَّضُوا النَّاسَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ الْمَنَابِرِ وَغَيْرِهَا فِي الْبِلَادِ فَوَقَّعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ج ١ ص ٧٨)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت. وأبو نعيم في «صفة النفاق» (نعت المنافقين) (ص ٨٠)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، من طريق عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو.

(٢) «شرح صحيح مسلم» (ج ١ ص ٣٢٤)، ط. دار الفكر، بيروت.

(٣) انظر: «صفة النفاق» (نعت المنافقين) لأبي نعيم (ص ٣١)، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى.

وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلْفُ يَخَافُونَ النِّفَاقَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، بَلْ يَجْعَلُونَ
المُخَالَفَاتِ الصَّغِيرَةَ مِنَ المُوَبِّقَاتِ فِي عَهْدِهِمْ بِخِلَافِ هَذَا الزَّمَانِ .
وَإِلَيْكَ الدَّلِيلُ :

عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : (أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ
قَدْ شَهِدُوا بَدْرًا، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ) (١) .

وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ
مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا مِنَ المُوَبِّقَاتِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (٢) .

قَالَ ابْنُ الوَازِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (فَمَنْ كَانَ ضَعِيفَ الرِّيَاضَةِ لِنَفْسِهِ لَمْ يَتَيَقَّظْ
لِخَفِيَّاتِ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ فِي ذَلِكَ، فَرُبَّمَا حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

وَقَدْ خَوَّفَ اللهُ المُؤْمِنِينَ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فِي
أَيْسَرٍ مِنْ ذَلِكَ وَأَظْهَرُ . . . فَكَيْفَ لَا يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ الفِتْنَةَ مَنْ عَرَفَ مِنْهَا
الْوُقُوعَ فِي المُهْلِكَاتِ عِنْدَ الخِلْطَةِ، أَوْ خَافَ ذَلِكَ وَجَرَّبَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ؟! .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُخَافُ عَلَى مُخَالِطِ السُّلْطَانِ أَنْ يَخَافَهُ أَكْثَرَ مِنْ
خَوْفِ اللهِ، أَوْ يَرْجُوهُ أَكْثَرَ مِنْ رَجَاءِ اللهِ، أَوْ يَذْكُرُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ
تَعَالَى، أَوْ يَشْكُرُهُ أَوْ يُجِبُّهُ كَذَلِكَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَلَوْ فِي بَعْضِ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» تعليقا (ج ١ ص ٢٦)، ط . مكتبة الرياض
الحديثة، الرياض . وابن حجر في «تغليق التعليق» (ج ٢ ص ٥٢)، ط .
المكتب الإسلامي، بيروت، والخلال في «السنة» (ج ٣ ص ٦٠٧)، ط . دار
الرابعة، الرياض، ط . الأولى . وحرب الكرمان في «المسائل» (ص ٣٧٥)،
ط . مكتبة الرشد، الرياض، ط . الأولى .

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج ١١ ص ٣٢٩)، ط . مكتبة الرياض الحديثة،
الرياض، وأحمد في «المسند» (ج ٣ ص ١٥٧)، ط . المكتب الإسلامي، بيروت .

الأوقات، والغفلات، فيلحقه بذلك عقاب الله وسخطه، وسلب توفيقه... (١) . اهـ.

وقال ابن الوزير رحمه الله: (والخلاص من الذنوب بصلاح القلوب والإخلاص، وإنما الفرار وسيلة إلى ذلك، وعون عليه، وفطام للنفس الحبيثة من العادات المستحكمة المستقرّة... (٢) . اهـ.

وقال ابن الوزير رحمه الله: (وليحذر العاقل من ثقته بعقله وحلمه، فإن عظمة آدم مع قربه من الله تعالى، وتقدم تحذير الله له من الشيطان ما حالت بينه وبين كيد الشيطان، ولذلك شرعت الاستعاذة بالله منه، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا نجاة للعبد إلا بالاستعاذة بالله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] (٣) . اهـ.

وقد ثبت عن الثعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالرأي يزعم حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٤).

(١) «الأمر بالعزلة في آخر الزمان» (ص ١٠٧)، ط. المكتبة الإسلامية، الأردن، ط. الأولى.

(٢) «المصدر السابق» (ص ١١٠).

(٣) «المصدر السابق» (ص ١١٥).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج ١ ص ٢٨)، ط. مكتبة الرياض الحديثة، =

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَالْمَعْنَى أَنَّ الْحَلَالَ حَيْثُ يَخْشَى أَنْ يُؤَوَّلَ
فِعْلُهُ مُطْلَقًا إِلَى مَكْرُوهٍ أَوْ مُحَرَّمٍ يَنْبَغِي اجْتِنَابُهُ...)^(١). اهـ.

قُلْتُ: وَيُسْتَدَلُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى سَدِّ الذَّرَائِعِ إِلَى الْمُحَرَّمَاتِ،
وَتَحْرِيمِ الْوَسَائِلِ إِلَيْهَا.

فَبَانَ لَكَ مِمَّا نَقَلْتُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَثَارِ السَّلَفِ وَأَقْوَالِ أَهْلِ
الْعِلْمِ دَمٌ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ عَلَى الْحُكَّامِ بِوَجْهِهِ، وَيَخْرُجُونَ مِنْهُمْ بِوَجْهِهِ آخَرَ،
اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

= الرياض. ومسلم في «صحيحه» (ج ٣ ص ١٢١٩)، ط. دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط. الأولى. وأبو داود في «سننه» (ج ٣ ص ٢٤٣)، ط. دار
الحديث، بيروت، ط. الأولى. والترمذي في «سننه» (ج ٣ ص ٥٠٢)، ط.
مصطفى البابي، مصر، ط. الثانية، من عدة طرق عن الشعبي عن النعمان بن
بشير به.

(١) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (ج ١ ص ١٢٧)، ط. مكتبة الرياض
الحديثة، الرياض.